ابن عثيمين يحاور المسلّحين
(معالم في التعامل مع الفئة الضالة)

الوطن وطن الجميع .. والمصاب مصاب البلاد كلها .. وعلى الرغم من عظم مصاب البلاد والعباد بأعمال القتل والتفجير ؛ فإن كثيراً من أطروحاتنا وكتاباتنا حول هذه الظاهرة لا تزال بحاجة إلى مزيد من التشخيص الصحيح لحقيقة الفكر الموبوء الذي تقوم عليه هذه الأعمال ، والذي يوصل إلى العلاج الناجع للقضاء على هذه الظاهرة أو محاصرتها على أقل تقدير .

وحينما تتحول بعض كتاباتنا إلى مجرد ممارسات شجب واستنكار لإرضاء أو ترويض العواطف العارمة لا إلى تفعيلها ، ودغدغة المشاعر الملتهبة لا إلى توظيفها ؛ فإننا نكون كالذي يستبسل في سب اللصوص ، دون أن يكلف نفسه بأدنى عمل مفيد يتدارك به ما سرقوا منه في الحاضر ، أو يتقي به شرهم في المستقبل .. كما وقع للأعرابي لما سُرق بعيره أمام عينيه ، فقيل له : ماذا فعلت باللصوص؟ قال : أوسعتهم شتماً وساروا بالبعير !!.

إن سبّ هؤلاء البغاة وهجوهم ، وبث الشكوى من ظلمهم وإجرامهم (وإن كان رد فعل طبيعي) ؛ قد يشفي شيئاً مما في الصدور ، لكن التوقف عنده والتعويل عليه وحده لا يمكن أن يغيّر من الواقع المظلم شيئاً ، ولا يقدم حلا ً .

ووالله لأن يوقد الواحد منا شمعة صغيرة خير من أن يلعن الظلام ألف مرة .

ناهيكم عن الأمر الأنكى من هذه السلبية المقنّعة ، وهو ما يقع في بعض الكتابات من مجازفة ورجم بالغيب وسوء معالجة لهذه الظاهرة .

الباب مفتوح ، و الميدان فسيح .. ومن حق كل كاتب ومفكر غيور على هذا الوطن أن يجرد قلمه للدفاع عنه والحفاظ على أمنه ، فالوطن كما أسلفت وطن الجميع ، والحفاظ على أمنه مسؤولية مشتركة . لكن هذا الدافع النبيل لا يسوغ أن يعطي الحق لمن يسهم في اتساع الخرق من حيث يشعر أو لا يشعر ، على حد قول الشاعر :

أوردها سعدٌ وسعدٌ مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل

نعم .. أوردها (.......) عدوانية تضليلية ، فاستغل هذه الأحداث لتصفية حساباته مع خصومه السابقين ، وبدأ ينقب في سيرة حياتهم ، ويستعرض كتاباتهم ونشاطاتهم ليلبس ما شاء منها عباءة الإرهاب أو تغذية التطرف ، تدليساً وتلبيساً على الأمة .

وأوردها (.......) تبريرية تعاطفية ، فأجلب علينا بعضهم ولا سيما على الشبكة العنكبوتية بمغالطات منكرة ، فحواها أن هؤلاء الشباب تعرضوا لكذا .. وأن الدولة كذا .. وأن الأمة اليوم تتعرض لكذا ... و النتيجة أن هؤلاء أبرياء !!! .

وأوردها (.......) شقاقية صراعية .. يتسابق فيها إلى مخالفة قرينه ، واطّراح فكرته ، واستهجان رؤيته ، بل واتهامه بالتعاطف مع هذه الفئة !! .. حتى أصبحت قضية الأمة (عند هؤلاء) حلبة صراع يتناطح فيها الأقران الوالغون في فتنة إعجاب كل ذي رأي برأيه ، ناسين أو متناسين المصلحة الكلية التي يجب الاحتكام إليها في القبول والرد ، وهي مصلحة البلاد العامة ، والحفاظ على أمنها ، ووقاية أهلها من الا حتراب والشقاق .

وأوردها (.......) انتهازية ارتزاقية ، ممن شغف قلبه بالشهرة ، وأولع بـ التصدر والتقديم ، والمتاجرة الفكرية طمعاً في نيل بعض الحظوظ الشخصية .

وأوردها (.......) انحلالية تحررية ، ليحاول إقناعنا بأن الالتزام بـ الدين والتمسك بالعقيدة لا يمكن أن يجتمع وأمن الوطن ، إلا إذا اجتمع الضب والحوت !!! ومن ثم فعلينا أن نختار : ديننا وعقيدتنا أم أمننا !!!

ووالله لولا مراعاة المصلحة وسد باب الجدل والفتنة لذكرت نماذج من هذه الكتابات اللامسؤولة .

حب الوطن أمر فطري ، لا ينازع فيه إلا مكابر .. ولهذا لما أخرجت قريش نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم وقف بالحزورة على مشارف مكة ، والتفت إلى مكة ، وبدأ يخاطب أطلال البلد الحبيب .. بلد الطفولة والذكريات .. يخاطب مكة ويقول : أما والله إني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلي وأكرمها على الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت .

وفي هذا الكلام لفتة نبوية من النبي الكريم صلى الله عليه وسلم إلى أن هذه القيمة - أعني قيمة الوطن - قيمة غالية ، لكنه صلى الله

عليه وسلم ترك وطنه المحبوب مراعاة لسلم الأولويات بين القيم في ا لإسلام ، ذلك أن قيمة الدين قيمة محورية في حياة المسلم ، وهي أعلى وأسمى القيم ، وبسبب هذه القيمة هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وهي إذ ذاك دار شرك إلى المدينة دار الإسلام .
ولنا أن نتساءل : هل نعيش في هذه البلاد المباركة تعارضاً بين هاتين القيمتين ، قيمة الدين وقيمة الوطن ؟!! أو بالأصح هل هناك من يحاول إيهامنا بوجود مثل هذا التعارض؟!! .
إن الناظر المنصف يدرك أنه لا تعارض بحمد الله بين القيمتين .. ويحق لكل مسلم يعيش على هذه الأرض الطاهرة أن يمتلأ قلبه بحبها ، ويضحي من أجلها ، كيف لا وهي قبلة المسلمين ، ورافعة راية الدين ، ومعقل الشريعة ، ومأرز العقيدة .. منها تنطلق سحائب الخير للمسلمين في شتى أصقاع الأرض ، حتى أصبحت قلوبهم تهفو إليها ، وتؤمل فيها أن تكون هي وأهلها حصن الإسلام الحصين ، ودرعه المتين أمام أعدائه . (مع أننا لا ندعي الكمال والسلامة من الخطأ و القصور) .

أعود فأقول : إن من التناقض العجيب .. اتخاذ بعض المتعسفين دعوى المواطنة وحب الوطن مركباً لتسويغ اجتهاداته وأفكاره ، ومحاصرة و (إرهاب) كل من يخالفه ، ورميه بالإرهاب والتمرد على الوطن !!!
والأمر الأعجب أن هذا المتعسف صاحب (الإرهاب الفكري) قد يكون هو أول من ينقض دعواه بأطروحاته التي لا تخدم المصلحة الوطنية ، ولا تتفق والأسس التي قامت عليها هذه البلاد ، واجتمع عليها شمل الوطن .
إن من الأمانة والموضوعية التي يتلهف إليها كل مسلم غيور ومواطن صالح ؛ أن نستشعر مسؤولية الكلمة ، وخطورة المجازفة في إصدار الأ حكام دون تثبت ، أو اتباع الهوى في التعامل مع الأطراف .

معالم في فهم واقع هذه الفئة وأفكارها ؟ :
يزداد الحليم حيرة وذهولا ً حينما يرى هذا الشاب .. حديث السن .. سريع الإقدام .. مفعم بالعاطفة والغيرة .. يلفّ حزاماً ناسفاً حول جسده الطري .. ويتوسد كومة من القنابل والأسلحة .. لا يزيده الإنكار إلا قناعة بفعله .. ولا تزيده المواجهة إلا إصراراً على جرمه .

وبسبب مغاسل الأدمغة .. ومحاجر العقول .. تحول البغي عند هذا الشاب جهاداً .. والإفساد إصلاحاً .. والانتحار شهادة .. كيف لا؟ وهو يستروح ريح الجنة وراء الجثث والركام !!! .

ثم إن مما يزيد المأساة ، ويعمّق المعاناة أن يكون هؤلاء الشباب هم بعض أبناء هذه البلاد ، ممن يرتكبون هذه الأعمال الشنيعة بين أهلهم ، وفي دارهم !!! .
ماذا نقول؟ .. أبناؤنا بغوا علينا .. إخواننا خرجوا علينا .. أصبحوا خناجر تطعن في ظهورنا .. وتحولوا إلى قنابل تتفجر في بيوتنا .
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند
ماذا يريدون بهذه الأفعال؟ أي فتنة أعظم من هذه الفتنة؟ كيف استطاع هذا الفكر أن يصل إلى عقول هؤلاء الشباب؟ هل هم مخترقون من جهات تزين لهم هذه الأعمال ، وتمدهم بالأسلحة والأموال؟ هل هم مستغلون من بعض الدول التي لها أطماع في المنطقة؟ هل للصهيونية يد في تحريكهم؟ .
نحن في الحقيقة لا نملك إجابة شافية لهذه التساؤلات ، ولعل الأيام تبدي لنا ما قد خفي .
لكن الأمر الظاهر الذي لا مراء فيه أنه لا بد من إنكار صريح لهذه الأعمال ، وإدانة واضحة لمرتكبيها .
وإذا كنا متفقين على شناعة هذه الأفعال وضلال مرتكبيها ، فإنه لا بد من تحليل واقع هذه الفئة الضالة ، ودراسة الفكر الذي تقوم عليه ، وتشخيصه تشخيصاً صحيحاً ، يتم على ضوئه إعطاء الوصفة المناسبة لعلاج هذه الظاهرة .
وبالنظر في ما طرح ويطرح في ساحة الرأي والإعلام ، فإن المتأمل لهذه التحليلات يدرك تماماً أنها على الرغم من اتفاقها على تجريم واستنكار هذه الأعمال ، فإنها في المقابل لا تكاد تتفق على تفسير واضح لجذور هذه الأعمال وأسباب وجودها في بلادنا ، وبين أظهرنا ، وعلى يد ثلة من شبابنا !!! .
ولعل من أهم أسباب اضطراب الآراء في ذلك ، أن التيارات التي تقف وراء هذه الأعمال ليست بتيارات إجرامية محضة (كعصابات المخدرات والجنس ونحوها) ، بل إن هذه التيارات لها جذور فكرية ترفع الشعارات الدينية وتتحدث باسم الجهاد ، الأمر الذي يوقع الناظر

البسيط في التخرص والرجم بالغيب .
وبسبب الشعارات الدينية المنحرفة التي ترفعها هذه الفئة ؛ زلت أقدام ، وضلت أفهام .. واشتبه الأمر على بعض الكتاب والمفكرين ، ممن أوتوا (وللأسف) حظاً كبيراً من السطحية وضعف العطن ، حتى أصبح بعضهم يهرف بما لا يعرف ، بكلام أشبه بالهذيان .
وإن من الإجحاف والظلم ، ما سمعنا وقرأنا من الخلط الرهيب ، وتوسيع دوائر الاتهام ، دون دليل أو برهان .
وأصبح المسلم الغيور يتساءل : لمصلحة من تتهم العقيدة الوسطية التي قامت عليها هذه البلاد المباركة ، بعد أن أحيا معالمها الإمامان المجددان محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود رحمهما الله .
لمصلحة من يتهم العلماء والمؤسسات الدينية التي كانت ولا تزال تحذر من هذه التيارات الدخيلة .
وقل مثل ذلك في اتهام المناهج العلمية .. النشاطات الدعوية .. المراكز الصيفية .. حلقات تحفيظ القرآن الكريم .. الخ .

وللحقيقة نقول : إن أول سؤال يمكن أن يطرح في هذا الجانب : ما علاقة هذا الفكر الديني المتطرف الذي تتبناه هذه التيارات بالدين الذي قامت عليه هذه البلاد ومؤسساتها ، وتربى عليه أهلها وشبابها؟
إن الواقع يشهد بأن بلادنا المباركة إنما قامت على الدين القويم ، و التوحيد الخالص ، والعقيدة الوسطية الصحيحة التي أحيا معالمها الإمامان محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود رحمهما الله .. ومنذ ذلك الوقت وهذا النهج هو النهج الديني السائد بحمد الله في مجتمعنا ، يقرره العلماء والدعاة في دروسهم ومحاضراتهم ، ويدرسه ملايين الطلاب والطالبات في المدارس ، حتى أصبحت هذه البلاد وأهلها مثالاً يحتذى في التمسك بالدين ، وسلامة المنهج ، وإغاثة المنكوبين ، و الدعوة إلى الله ونشر الإسلام في أرجاء العالم .
إن ما نراه من غلو وتطرف فكر دخيل على مجتمعنا ، وصوت نشاز في مناهجنا العلمية والتربوية والدعوية .. والمتتبع للمراحل التاريخية لنشأة هذا الفكر ودخوله البلاد ، يدرك أن بداية ظهوره في هذه البلاد كانت بسبب طائفة شاذة تلقفت هذا الفكر من بعض الجماعات و التيارات الخارجية المخالفة للبيئة العلمية والدينية في بلادنا ، بل جنح بعضها إلى تكفير ولاة أمرنا وعلمائنا . ثم نما هذا الفكر وترعرع في السنوات الأخيرة بفضل ثورة المعلومات والإنترنت وتعدد مصادر

التلقي .
إن إدراكنا لهذا الأمر أمر بالغ الأهمية في فهم هذه الظاهرة وحسن التعامل معها ،ومحاصرتها في زاويتها الضيقة ، والحيلولة دون انتشارها في المجتمع .
إن هذا الفكر الغالي في التكفير ، الداعي إلى الخروج على ولاة الأمر ، فكر بالغ الخطورة ، لمـا فيه من التخوض في دماء المسلمين ، وإثارة الفتن الداخلية ، ولاسيما أن كثيراً مما يقع بسبب هذا الفكر من مفاسد يقع - عند من يتبناه - بنوع من التأويل الذي يظنونه اجتهاداً مشروعاً وطريقاً لدخول الجنة !!! .
وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ما حصل بمثل هذا التأويل من الشر والفتن وأنه سـ ـفـ ـك بـه دماء قوم من المؤمنين وأهل العهد . وما أشبه الليلة بالبارحة .

إن رايات الدين .. الجهاد .. الإصلاح .. مآسي المسلمين .. التي يرفعها هؤلاء المتهورون لايمكن أن تضفي المشروعية لأعمالهم الفاسدة ، فقد حكى الله سبحانه وتعالى عن أقوام من المفسدين أنهم يدعون الإصلا ح ، قال تعالى : وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون .
وفي صحيح البخاري أن ابن عمر رضي الله عنهما أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا : إن الناس صنعوا وأنت ابن عمر وصاحب النبي فما يمنعك أن تخرج؟ فقال : يمنعني أن الله حرم دم أخي . فقالا : ألم يقل الله : وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة . فقال : قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله ، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله".

وإذا كان هذا الفكر الباطل يتبجح برفع راية الدين ، فإن من الواجب أن نُعَرّي هذا الفكر ، ونجرّد الحق من الباطل الذي قد يظن بعض الناس أنه منه ، وهو منه براء .. ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة .

إننا مطالبون ببيان خطر الغلو في الدين حفاظاً على أمن المجتمع، و مطالبون كذلك ببيان خطر الدعوات التي تتخذ من هذه الأعمال ذريعة إلى الطعن في ولاة الأمر والتأليب عليهم، أو التشكيك في النهج الديني الذي تسير عليه هذه البلاد، أو الطعن في الدين واتهام أهله، أو

التشكيك في مؤسسات المجتمع الدينية والدعوية والتربوية ، أو تقديم الأنموذج الغربي المتحرر من أحكام الدين طريقاً لعلاج مشاكل ا لأمة ، وكأن الدين هو سبب هذه المشاكل، ومن ثم فلا يصلح منهاجاً ل لأمة !!! .
وقد رأى كل منصف كيف تعالت الأصوات ، وتوالت الكلمات من علمائنا ودعاتنا ومفكرينا وكل من له علاقة بالدين في هذه البلاد على إنكار هذا العمل والبراءة منه .
ومن ثم فإنه لا يسوغ لنا أن ننجرف وراء من يتهم بلادنا أو ديننا أو مناهجنا الدينية والدعوية التي تربى عليها الملايين ، أو يعمم هذا الحكم على جميع المتدينين .
إن مثل هذا التعميم في الحقيقة إنما يعطي انطباعاً عن السطحية في الفهم ، والتعسف وعدم الموضوعية في الحكم .
فلو أن رجلا ً جاهلا ً تطبب ، فلبس البزة البيضاء ، وتقلّد السماعة ، ثم بدأ يمارس مهنة الطب ، فتسبب في موت بعض الناس . هل يسوغ لإنسان أن يتهم مهنة الطب ، أو يعمم هذا الحكم على سائر الأ طباء ؟ . بالطبع لا .
وكذلك .. فإن من الخطأ الفادح وعدم الموضوعية أن تستغل هذه الأ حداث بطريقة تصفية الحسابات مع هذا الطرف أو ذاك , بعيداً عن التماس الحق الذي ينشده كل إنسان غيور على هذا الوطن وأمنه .
إن خلط الأوراق ، وتوسيع دوائر الاتهام لا يليق أن يصدر ممن يتمتع بأدنى حس ديني ووطني ، إذ هو لا يخدم المصلحة الوطنية ، بل إنه يثير الاستفزاز ، ويكرّس الشعور بالعدوان ، ويساهم في زيادة وقود الفتنة .
وعلينا أن نستثمر هذا الحدث في توحيد الصف ، وجمع الكلمة على الحق ، وقطع الطريق على كل متربص ينتهز هذه الأحداث لكي يتطاول على ثوابت الأمة ، أو يملي علينا ما يميل إليه هواه المنحرف .
ولنتسلح دائماً بضبط النفس والعدل ، فإن الكلمة - ولاسيما في مثل هذه الأحداث - أمانة كبرى ، ومسؤلية عظمى , ورب كلمة تهوي بصاحبها في النار ، وبئس القرار .
نسأل الله أن يرينا وولاة أمورنا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، والباطل باطلا ً ويرزقنا اجتنابه .

كيف نتعامل مع هذه الفئة ؟ :
من المتفق عليه أنه مهما كان لدينا من دقة التحليل وصحة التشخيص للمرض ، فإن المريض لن ينقطع ألمه ، ويتوقف أنينه ، ما لم يدخل في البرنامج علاجي المناسب .
لا بد من برنامج علاج عملي لهذا الواقع المرير الذي نتجرع غصصه يوماً بعد يوم .. وإلا فما معنى أن نستغرق في تشخيص الداء ، وبيان مكمن البلاء ، ثم نتوقف دون وصف الدواء وتناوله !!! .
وقد طرح في هذا الموضوع ولا يزال يطرح العديد من الوسائل التي يمكن أن يقوم بها الأفراد أو الأسر أو الدولة ومؤسساتها في سبيل التصدي لهذه الفئة وأعمالها .
ولكن ههنا تساؤل عن أنسب الوسائل في التعامل مع هذه الفئة والأ شخاص المنتمين إليها على وجه الخصوص .
فنقول : القاعدة العامة في التعامل مع هذه الفئة أن لا بد من توافر أمرين لا غنى بأحدهما عن الآخر ، أحدهما : قوة السلطان ، والآخر : قوة الحجة والبيان .

قوة السلطان .. لأن الواقع من منهج هذه الفئة هو الخروج على سلطة ولي الأمر بحمل السلاح ، وانتهاج القوة والعنف . الأمر الذي يستدعي وجود قوة مضادة تكف هذه الفئة عن تسلطها وخروجها . ولهذا أوجب الله على المسلمين قتال الطائفة الباغية من المسلمين ، فقال تعالى : (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) ، مع أنه سبحانه أثبت لهذه الطائفة الباغية الأخوة الإيمانية فقال تعالى : (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم) .
وقد أجمع أهل العلم على وجوب قتال أهل البغي ، وبيّنوا أن قتالهم من باب الردع ، وليس من باب قصد القتل كما في قتال الكفار في الجهاد ، وذكروا فروقاً بين القتالين ، فإن البغاة لا يتبع مدبرهم ، ولا يجهز على جريحهم ، ولا يرمون بما يستأصل شأفتهم ، وغير ذلك من الأحكام .

وأما قوة الحجة والبيان ، فإن واقع هذه الفئة يشهد بأن لها أفكاراً وشبهات تربّي عليها أفرادها ، وتسوّغ لهم أفعالهم ، وهذا الأفكار و الشبهات موجودة في الواقع ضمن بعض الكتب والمجلات المحظورة ، وكثير منها تسلل إلى بلادنا من الخارج بفعل ثورة الاتصالات و

المعلومات ، وعلى شبكة الانترنت عدد من المواقع المشبوهة التي يتأثر بها بعض الشباب ، ويأخذون جل ما فيها من الفتاوى والتحليلات على سبيل التسليم والاقتناع .
إننا بالحوار الهادف ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، متى ما استطعنا أن نغيّر من قناعات المنتمين إلى هذه الفئة بالحجة والبيان ، ونقطع نسبهم بمصادر التلقي المشبوهة ، فإننا نكون قد وفقنا في تحرير عقولهم من ربقة الفكر المنحرف ، وبالتالي حسم المادة التي تغذي أفعالهم ، وتقنعهم بمشروعيتها .

لا للحوار .. و نعم للحوار :
أساء بعض الناس فهم قضية الحوار مع هذه الفئة ، وحمّلها ما لا تحتمل .. وأنزلها آخرون على مواقف محددة ليثبت عدم جدواها ، ويسقطها من الحساب بالجملة .
هل من المعقول أن نستوقف هذا الشاب المسلح الذي تلطخ بالدم ، وتدرّع بالحزام الناسف ، وصوّب سلاحه ، بل ووضع أصبعه على الزناد ، ونقول : لحظة من فضلك ، نريد أن نجري معك حواراً ومناظرة في الشارع أو الميدان !!! .
لا يشك أدنى منصف أن الدعوة للحوار في هذه الحالة ضرب من الحماقة والجهل !!.
لكن ما المانع أن يكون الحوار الفكري قريناً للردع الأمني ، ووسيلة لكبح جماح هذا الشاب المتهور ، وخلخلة تركيبته الفكرية التي تدفعه إلى الاستماتة في سبيل ما يظنه هو هدفاً مشروعاً .
أقول : نحن بحاجة ماسة إلى أن نبني عملية الحوار على أرضية مناسبة ، وأصول هامة ، ومنها: من نحاور؟ ومتى يكون الحوار ؟ وكيف يكون ؟ ومن يتولى الحوار؟ .
كما أنه لا بد من مراعاة التفريق في التعامل بين المتورطين في هذه ا لأعمال كلّ بحسبه ، فليس من تورط في ارتكاب هذه الأعمال أو خطط لها ، كمن ألقى السلاح وسلّم نفسه قبل أن يتلطخ بدم .. كما أن هناك طائفة تلوثت أذهانها بأفكار هذه الفئة المنحرفة ولم تصل إلى حمل السلاح ، فهؤلاء لا بد من فتح قنوات الحوار معهم ، ومجادلتهم بـ االتي هي أحسن ، حتى يعودوا إلى رشدهم ، ويتوبوا إلى ربهم ، كما وقع بحمد الله في بعض الحوارات والتراجعات التي ظهرت في بعض الوسائل .

وبهذا يكون الحوار مع هذه الفئة أحد الأمور المشروعة ، والحلول الناجحة ، لأنه من الإصلاح الذي ينزع الله به فتيل الفتنة .
وإذا كانت هذه الفئة (كما هو معلوم لمن سبر غورها ، وأدرك حقيقتها) تتبنى فكراً قائماً له أصوله المرتبطة ببعض المسائل الشرعية المعلومة كالتكفير ، والعهد والاستئمان ، والجهاد ، والحاكمية ، وإخراج المشركين من جزيرة العرب ، وغيرها من المسائل ؛ فإن هذا الفكر الضال لا بد من مواجهته بفكر راشد يفند حججه ، ويرد شبهه ، بـ الحجة والبرهان .

حوارات تاريخية مثيرة :
ليس بجديد أن تظهر مثل هذه التيارات الفكرية في الأمة . فقد شهد التاريخ الإسلامي ظهور العديد من الطوائف والجماعات التي خرجت على الأمة ، وانتهجت مبدأ التغيير بالقوة وحمل السلاح .
وكان للعلماء وأئمة الدين دور كبير في مجادلة هذه الطوائف والحوار معها ، وكان من ثمرات هذه المجادلات والحوارات أن رجع بسببها فئام من المنتمين لهذه الطوائف ، وتخلوا عن أغلوطاتهم الفكرية . وهذا مكسب عظيم ، ونجاح باهر ، ينبغي الإفادة منه في التعامل مع مثل هذه الظواهر .

ابن عباس والخوارج :

من أشهر الحوارات التاريخية مع الطوائف المنحرفة مناظرة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما للخوارج حينما خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكانت هذه المناظرة بحق أنموذجاً فريداً ، وتطبيقاً ناجحاً للحوار ، رجع بسببه فئام من هذه الفئة ، فإلى هذه المناظرة كما ساقها الحاكم في المستدرك 150/2ـ 152 والبيهقي في السنن الكبرى 179/8 ، وسأدرج في ثنايا النقل بعض الملاحظات و التنبيهات وأضعها بين معقوفتين .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : " لما خرجت الحرورية اجتمعوا في دار وهم ستة آلاف أتيت علياً ، فقلت : يا أمير المؤمنين أبـ ـرِ ـدِ بـ الظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم ، قال : إني أخاف عليك . قلت : كـ لا . قال ابن عباس : فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حـ ـلَ ـلِ اليمن - وكان ابن عباس جميلاً جهيراً – [وهذه لفتة إلى

أهمية العناية بشخصية المحاور ومظهره ، وأثر ذلك في قبول الطرف الآخر].
قال ابن عباس : فأتيتهم وهم مجتمعون في دارهم قائلون ، فسلمت عليهم ، فقالوا : مرحبا ً بك يا ابن عباس ، فما هذه الحلة ؟!! [مظهر من مظاهر الغلو ، والأخذ بالأشد حتى في اللباس] .
قال : قلت : ما تعيبون علي ؟ لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل ، ونزلت قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ·
قالوا : فما جاء بك؟ قلت : أتيتكم من عند صحابة النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار لأبلغكم ما يقولون ، وتخبرون بما تقولون ، فعليهم نزل القرآن وهم أعلم بالوحي منكم وفيهم أنزل ، وليس فيكم منهم أحد . [تذكير بما لدى المخالف من مزيد علم وفضل ، إشارة إلى أنه أقرب إلى الحق عند الاختلاف].
فقال بعضهم : لا تخاصموا قريشا ً ، فإن الله يقول : بل هم قوم خصمون
[انظر إلى سوء الفهم ، والاستدلال بالنصوص في غير مواضعها]
قال ابن عباس : وأتيت قوما ً لم أر قوما ً قط أشد اجتهادا ً منهم ، مسهمة وجوههم من السهر ، كأن أيديهم وركبهم تثنى عليهم .
[لا تلازم بين مظاهر الصلاح وشدة الاجتهاد في العبادة وبين صحة المنهج والهداية للحق] .
قال : فمضى من حضر ، فقال بعضهم : لنكلمنّه ولننظرنّ ما يقول .
قلت : أخبروني ماذا نقمتم على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره والمهاجرين والأنصار؟ .
قالوا : ثلاثا ً .
قلت : ما هن؟
قالوا : أما إحداهن فإنه حكّم الرجال في أمر الله ، وقال الله تعالى : إن الحكم إلا لله وما للرجال وما للحكم؟ .
فقلت : هذه واحدة .
قالوا : وأما الأخرى ، فإنه قاتل ولم يَسْبِ ولم يَغْنَمْ ، فلئن كان الذي قاتل كفارا ً لقد حل سبيهم وغنيمتهم ، ولئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم .

قلت : هذه اثنتان ، فما الثالثة؟
قالوا : إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين .
قلت : أعندكم سوى هذا؟
قالوا : حسبنا هذا . [هذه قاعدة هامة ، وهي الاستماع الجيد إلى كلام المخالف ، وحصر جميع حججه ، قبل الشروع في الرد عليه]
فقلت لهم : أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يَ ُر َد ّ به قولكم أترضون؟ [وهذه قاعدة أخرى من أهم قواعد الحوار ، وهي أنه لا بد من مرجعية ثابتة متفق عليها ، يردّ إليها عند التنازع بين الطرفين ، وإلا كان الحوار عقيماً غير مثمر] .
قالوا : نعم .
فقلت : أما قولكم حكم الرجال في أمر الله ، فأنا أقرأ عليكم ما قد رد حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أرنب ونحوها من الصيد فقال : يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم .. إلى قوله يحكم به ذوا عدل منكم . فنشدتكم الله [خطابٌ مؤثر ، يحرك العواطف ، ويستثير الإيمان والخوف من الله] أ َح ُك ْم ُ الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟ . وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال . وفي المرأة وزوجها قال الله عز وجل : وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها أن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة .
قال : أخرجت ُ عن هذه؟ [تحقق من زوال الشبهة عند المخالف]
قالوا : نعم .
قال : وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم ، أتس ْبُ ُون أمكم عائشة ثم تستحلون منها ما يَ ُس ْتَ َح َل من غيرها؟ فلئن فعلتم لقد كفرتم وهي أمكم ، ولئن قلتم ليست أمنا لقد كفرتم فإن الله يقول : النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم . فأنتم تدورون بين ضلالتين أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة . [محاصرة المخالف ، وبيان فساد رأيه بناءً على اللوازم الفاسدة المترتبة على القول به] .
قال : فنظر بعضهم إلى بعض !![إشارة إلى وصول المخالف إلى درجة الشك والتردد] .

قال : أخرجت من هذه؟
قالوا : نعم .
قال : وأما قولكم محا اسمه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون وأريكم ، قد سمعتم أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان بن حرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمير المؤمنين اكتب يا علي : هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله . فقال المشركون : لا والله ما نعلم إنك رسول الله لو نعلم إنك رسول الله ما قاتلناك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنك تعلم أني رسول الله ، اكتب يا علي هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله . فوالله لرسول الله خير من علي وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه .
قال ابن عباس : فرجع من القوم ألفان وقتل سائرهم على ضلالة ". اهـ

وهكذا .. كان من ثمرات هذا الحوار الهادف الذي قام به أحد علماء الأمة -وهو رجل واحد فقط- أن رجع ثلث هذه الفئة عن باطلهم ، وتخلوا عن أفكارهم ، وهذا مكسب كبير في القضية ، ناهيكم عن زعزعة فكر من بقي من هذه الفئة ، ونقلهم من دائرة القناعة التامة إلى دائرة الشك والتردد ، وهذا مكسب آخر بلا شك .

جابر بن عبد الله والخوارج :

وهذه حادثة أخرى رواها الإمام مسلم في صحيحه ، وكان الحوار فيها بين الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري وبين بعض من بدأت عندهم نزعة الخوارج .
عن يزيد الفقير قال : كنتُ قد شَغَفَنِي رأي من رأي الخوارج ، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ، ثم نخرج على الناس .
قال : فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يُحدِّث القوم جالس إلى سارية ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فإذا هو قد ذكر الجهنّميّين [أي الذين يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين ، وهذا يخالف مذهب الخوارج لأنهم يرون أن أهل الكبائر مخلدون في النار ، وأنهم لا تنفعهم الشفاعة] .
قال : فقلتُ له : يا صاحبَ رسول الله ، ما هذا الذي تُحدِّثون؟ والله يقول : إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ , و كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ، فما هذا الذي تقولون؟ [خطأ في فهم الآ

آيات ، وإنزالها على غير ما نزلت فيه] .
قال : فقال : أتقرأُ القرآنَ؟ [تقرير لمرجعية الحوار ، وهو الكتاب و السنة] .
قلتُ: نعم .
قال: فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام ، يعني الذي يبعثه فيه؟
قلتُ: نعم!
قال : فإنّه مقام محمد صلى اللّه عليه وسلم المحمود الذي يُخرج اللّه به مَن يُخرج . قال : ثمّ نعتَ وضعَ الصِّراط ومرّ الناس عليه ، قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك . قال: غير أنّه قد زعم أنّ قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها ، قال : يعني فيخرجون كأنّهم عيدان السماسم ، قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنّة فيغتسلون فيه ، فيخرجون كأنّهم القراطيس .

قال يزيد : فرجعنا، قلنا: وَيْحَكم !! أترَوْنَ الشيخَ يَكذِبُ على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ؟! فرجعنا، فلا واللّه! ما خرج منّا غيرُ رَجل واحد .

أقول : وهذه صفحة أخرى من صفحات الحوار الهادف ، وقى اللّه بسببها هذه العصابة -عدا أحدهم- من مغبة الخروج .

ابن عثيمين يحاور إحدى الجماعات المسلحة :

مع بداية ظهور هذه الأعمال ، كان موقف الشيخ العلامة محمد بن عثيمين رحمه اللّه –كغيره من مشايخنا- واضحاً لا غموض فيه .
ومن كلماته الرصينة حول بعض هذه الأفعال المتهورة قوله :" ولما ظهرت قضية الإخوان الذين يتصرفون بغير حكمة، ازداد تشويه الإسلام في نظر الغربيين وغير الغربيين، وأعني بهم أولئك الذين يلقون المتفجرات في صفوف الناس زعماً منهم أن هذا من الجهاد في سبيل اللّه، والحقيقة أنهم أساؤا إلى الإسلام وأهل الإسلام أكثر بكثير مما أحسنوا .
ماذا أنتج هولاء ؟ أسألكم هل أقبل الكفار على الاسلام أو ازدادوا نفرة منه ؟
ازدادوا نفرة منه . وأهل الإسلام يكاد الإنسان يغطي وجهه لئلا ينسب إلى هذه الطائفة المرجفة المروعة والإسلام بريء منهم، الإسلام بريء

منهم . حتى بعد أن فـ ُرِ ِض الجهاد ما كان الصحابة يذهبون إلى مجتمع الكفار يقتلونهم أبداً إلا بجهاد له راية من ولي قادر على الجهاد . أما هذا الإرهاب فهو والله نقص على المسلمين ، أقسم بالله . أننا نجد نتائجه ، ما فيه نتيجة أبدا ً بل هو بالعكس فيه تشويه السمعة .
ولو أننا سلكنا الحكمة فاتقينا الله في أنفسنا وأصلحنا أنفسنا أولا ً ثم حاولنا إصلاح غيرنا بالطرق الشرعية لكان نتيجة هذا نتيجة طيبة" ا هـ .

وههنا حوار مثير جرى بين الشيخ وبين إحدى الجماعات المسلحة في الجزائر على مدى يومين في أوائل رمضان 1420هـ .. وبقطع النظر عن الفوارق بين الأطراف المختلفة والظروف البيئية ، واختلاف الأحوال بين بلد وآخر ، فإن ما يهمنا من هذا النقل هو أصل الحوار ومنهجية الشيخ في احتواء المخالف والرد عليه .
وفيما يلي أورد مقتطفات من هذا الحوار الهاتفي الطويل ، والذي ورد ضمن كتاب (فتاوى العلماء الأكابر) .

- السائل : ئعلمكم أنّ الذي يُخاطبكم الآن هم إخوانك المقاتلون ... ونحن طبعاً سننقل كلامَكم إن شاء الله عزّ وجلّ إلى جميع إخواننا المقاتلين في هذه الجماعة وغيرها أيضاً ... ومن جهة أخرى، فإنّ الكثير من الإخوة مِمّن بلغَتْهم نصيحتكم وقعت لهم شبهةٌ حالت دون الاستجابة لِما دعوتم إليه، فكان لابدّ إذاً من إجراء هذا الحوار الجديد مع فضيلتكم؛ أملا ً أن نتمكّن من خلاله من الإجابة على جميع التساؤلات المطروحة، وإزاحة جميع الشبُه، وبيان الحقّ البواح؛ حتى نصبح على مثل المحجّة البيضاء، لا يزيغ عنها إلا ّ هالك [النصيحة و البيان العام أمر هام ، لكن تأثيره محدود ، ولا يمكن أن يصل إلى قوة تأثير الحوار المباشر في الإقناع وتفنيد الشبه لدى المخالف] .
وعلى هذا الأساس، فإنّنا نلتمس من سماحتكم حفظكم الله إعطاءنا أكبر قدر من وقتكم، وأن تسهبوا في الشرح والبيان؛ لأنّه لا يخفى عليكم يا شيخنا أنّ الإخوة عندنا قد رسّخَتْ فيهم سنواتُ القتال أفكاراً وعقائد ليس من السهل يا شيخ ولا من البسيط التخلِّي عنها واعتقاد بطلانها، إلا ّ ببيان شافٍ منكم [هذا يبين حتمية المواجهة الفكرية ، وأهميتها في انتشال الأفكار والشبهات المترسبة في أعماق

النفوس] وذلك لِمَا لكم في قلوب الإخوة عندنا من عظيم المنزلة، ووافر التقدير والإجلال والاحترام؛ لأتنا نعتقد أتكم من أعلام أهل السنة والجماعة في هذا العصر [تعظيم قدر العلماء ، وإنزالهم منازلهم ، من أهم أسباب قبول الناس لفتاويهم ، وصدورهم عن رأيهم ، ومتى ما انقطعت الرابطة بين الناس وبين العلماء ، وفقدوا الثقة بهم ، وقعت الفتن التي لا عاصم منها إلا من رحم الله] .

- الشيخ: دعنِي أتكلم قليلا ً .

الحمد لله ربِّ العالمين، وأصلِّي وأسلِّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أما بعد، فإتني من عنيزة القصيم ـ المملكة العربية السعودية ـ وفي أول يوم من رمضان عام عشرين وأربعمائة وألف، أتحدّث إلى إخواني في الجزائر، وأنا محبُهم : محمد بن صالح آل عثيمين . [المقام مقام نصح وحوار ، ومن أسباب نجاحه : التواضع ، والتلطف في العبارة ، و الشفقة على المخالف ، كما هو ظاهر من كلام الشيخ] .

أقول لهم: إنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قرّر في حجّة الوداع تحريمَ دمائنا وأموالنا وأعراضنا تقريراً واضحاً جليًا بعد أن سأل أصحابه عن هذا اليوم، والشهر، والبلد، وقال: ((إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟)).

فهذا أمرٌ مجمعٌ عليه، لا يختلف فيه اثنان، والإخوة الذين قاتلوا في الجزائر منذ سنوات قد يكون لهم شبهة ففي أوّل الأمر، حينما اتجه الشعب الجزائري إلى جبهة الإنقاذ، وعلَت أصواتهم لصالح الجبهة [وفي هذا التماس العذر للمخالف -إن أمكن- في الماضي ، وحثه على الرجوع للحق في الحاضر] ... ولكن هذا لا يقتضي ولا يسوّغ حمل الإخوة السلاحَ بعضُهم على بعض، وكان الواجب عليهم من أول الأمر أن يمشوا ويُكثِّفوا الدعوة إلى تحكيم الكتاب والسنة، وفي الجولة الأخرى تكون أصواتهم ... ، ويكون وزنُهم في الشعب الجزائري أكبر، ولكن نقول: قَدَر الله وما شاء فعل؛ لو أراد الله أن يكون ما ذكرتُ لكان.

والآن، أرى أته يجب على الإخوة أن يَدَعوا هذا القتال، لا سيما وأنّ الحكومة الجزائرية عرضت هذا، وأمّنت من يَضَع السلاح، فلم يبق عذرٌ . والجزائر الآن تحمل الويلات بعد الويلات مِمّا كانت عليه .

أما الجماعة ... فأرى أن يُوافقوا لأنّه مهما كان الأمر، الخروج على الحاكم ـ ولو كان كفرُه صريحاً مثل الشمس ـ له شروط، فمِن الشروط: ألا ّ يترتّب على ذلك ضررٌ أكبر، بأن يكون مع الذين خرجوا عليه قدرة على إزالته بدون سفك دماء، أما إذا كان لا يمكن بدون سفك دماء، فلا يجوز؛ لأنّ هذا الحاكمَ ـ الذي يحكم بما يقتضي كفره ـ له أنصار وأعوان لن يَدَعوه.

ثمّ ما هو ميزان الكفر؟ هل هو الميزان المزاجي ـ يعني ـ الذي يوافق مزاج الإنسان لا يكفر، والذي لا يوافقه يكفر؟! من قال هذا؟!

الكفر لا يكون إلا ّ من عند الله ومن عند رسوله، ثمّ إنّ له شروطاً، ولهذا قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا تحدّث عن أئمّة الجَوْر ـ وقيل له: أفلا ننابذهم ـ قال: ((لا، إلا ّ أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان)) وأين هذا؟

كثيرٌ من الإخوة ولا سيما الشباب، الكفر عندهم عاطفي، مزاجي، ليس مبنيًّا على شريعة، ولا صدر عن معرفة بشروط التكفير، لهذا نشير إلى إخواننا في الجزائر أن يضعوا السِّلاحَ، وأن يدخلوا في الأمان، وأن يُصلحوا بقدر المستطاع بدون إراقة دماء، هذا هو الذي يجب علينا أن نناصحهم به، ومن وُجّهت إليه النصيحة، فالواجب عليه على الأقل أن يتأتى وينظر في هذه النصيحة، لا أن يردّها بانزعاج واستكبار وعناد، نسأل الله تعالى أن يُطفئ الفتنة، وأن يزيل الغُمّة عن إخواننا في الجزائر.

- السائل: الإخوة ... عندما ناديتموهم بوضع السلاح مع اعتقادهم كفر حاكمهم شقّ ذلك عليهم كثيراً وكبُر عليهم كثيراً ، يعني وضع السلاح والعودة تحت حكم من يعتقدون كفرَه ، يعني هذه معضلة كيف حلُّها يا شيخ؟

- الشيخ: والله ليست معضلة؛ أوّلا ً: ننظر هل هناك دليل على كفر هذا الحاكم، والنظر هنا من وجهين:

الوجه الأول: الدليل على أنّ هذا الشيءَ كفرٌ.

الثاني: تحقق الكفر في حقّ هذا الفاعل؛ لأنّ الكلمة قد تكون كفراً صريحاً، ولكن لا يكفر القائل، ولا يخفى علينا جميعاً قول الله عزّ وجلّ: {مَن كفَرَ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إلا ّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإِيمَانِ وَلَكِن مَن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النحل 106]، رفع الله عزّ وجلّ حكم الكفر عن المكره وإن نطق به.

ولقد أخبر النبيُ   أنّ الربّ عزّ وجلّ أشدُ فرحاً بتوبة عبده من رجل فَقَدَ راحلتَه، وعليها طعامه وشرابُه، فلمّا أيِس منها اضطجع تحت شجرة، فبينما هو كذلك إذا بناقته حضرت،فأخذ بزمامها وقال: اللّهمّ أنت عبدي وأنا ربُك، قال النبيُ : ((أخطأ من شدّة الفرح)).
وكذلك الرّجل الذي قال: ((لئن قدر الله عليّ ليعذّبنّي عذاباً ما يعذّبه أحداً من العالمين، فأمر أهله إذا مات أن يحرقوه ويسحقوه في اليمّ، فجمعه الله وسأله؟ فقال: فعلتُ ذلك خوفاً منك يا ربِّ)) ، ولم يكفر.
الحاكم قد يكون عنده حاشية خبيثة، ترقِّقُ له الأمور العظيمة وتسهّلها عليه، وتزيّنها في نفسه، فيمضي فيما يعتقد أنّه حلال، ولكنه ليس بكفر ... فالواجب على هؤلاء أن ينظروا في أمرهم، وأن يُلقوا السلاح، وأن يصطلحوا مع أمّتهم، وأن يبثوا الدعوة إلى الله بتيسير لا بعنف .
- السائل: شيخنا حفظكم الله ، لو فرضنا كفر الحاكم ، هل يستلزم الخروج عليه بدون شروط ؟
- الشيخ: لا! لا بدّ من شروط، ذكرتها آنفاً. لو فُرِض أنّه كافر مثل الشمس في رابعة النهار، فلا يجوز الخروجُ عليه إذا كان يستلزم إراقة الدّماء، واستحلال الأموال.
السائل: الآن يعني بعض الإخوة عندنا مثلا ً يقولون إنّهم ما داموا خرجوا وحملوا السلاح وخاضوا هذه الحرب مع هذا النظام ، هم اليوم وإن اعتقدوا أنّ ما هم فيه ليس بجهاد؛ لأنّهم كما ذكرتم لم يَستَوفوا الشروط، لكن رغم ذلك يسألون: هل يمكنهم رغم ذلك المواصلة وإن أيقنوا الفناءَ والهلاك، أم يُهاجرون، أم ماذا؟
- الشيخ: والله! لا يجوز لهم، والله! لا يجوز لهم المضيُ فيما هم عليه من الحرب الآن؛ إذ أنّها حرب عقيم ليس لها فائدة ولا تولِد إلا ّ الشرّ والشّرَر.
- السائل: شيخنا ، بعض الإخوة عندنا بعد أن سلّموا بأنّ هذا ليس بجهاد على وفق ما ذكرتم لم يثقوا في الحكومة نسبيًا ، فيسألون هل يجوز لهم المكث في الجبال دون الرجوع إلى الحياة المدنية بدون قتال ، يعني يبقون بأسلحتهم في الجبال ويتوقفون عن القتال، لكن لا يرجعون إلى الحياة المدنية؟
- الشيخ: أقول: إنّهم لن يبقوا على هذه الحال، مهما كان الحال، ولا بدّ أن تحرّكهم نفوسُهم في يوم من الأيام حتى ينقضُوا على أهل القرى و المدن؛ فالإنسانُ مدنيٌ بالطبع.
يبقى في رؤوس الجبال وفي تلالها وشعابها، ومعه السلاح؟!! .

في يوم من الأيام لا بدّ أن تُهيّجهم النفوسُ حتى يكونوا قطّاعَ طرق .
[تأمل في بعد نظر الشيخ ورجاحة عقله] .
- السائل: إذاً لا يجوز لهم المكث على هذه الحال؟
- الشيخ: هذا ما أراه، أرى أن ينزلوا للمدن والقرى ولأهليهم وذويهم وأصحابهم.
- السائل: الآن إذا لم تستجب القيادة لندائكم هذا ، يعني إذا لم يستجب رؤوس المقاتلين لندائكم هذا ، ما واجب كل مقاتل في حقّ نفسه؟
- الشيخ: الواجب وضع السلاح، وأن لا يطيعوا أمراءَهم إذا أمروهم بمعصية؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .
- السائل: شيخنا! هناك أحدهم يدّعي أنه تلميذكم، ويَدّعي أنّ الاتصالَ بكم أمرٌ صعب، وأنكم محاطون بالمخابرات ـ يعني ـ وغير ذلك، والإخوة ههنا، الإخوة المقاتلين يعتقدون أنّ الاتصال بكم بين الاستحالة و الصعوبة، بناءً على كلام هذا الإنسان، هل هذا صحيح؟
- الشيخ: غير صحيح، أبداً كلُّ الناس يأتون ويتصلون بنا، ونحن نمشي والحمد لله من المسجد إلى البيت في خلال عشر دقائق في الطريق، وكل يأتي ... ويمشي، والدروس ـ والحمد لله ـ مستمرة، ونقول ما شئنا مِمّا نعتقده أنه الحق.
[هذا مثال على تسرع كثير من المخالفين في قبول ما يشاع ضد العلماء ، وإساءة الظن في علمهم ، والطعن في فتاويهم ، بناء على أوهام لا صحة لها]

- سائل آخر : إخواننا من الجماعة ... يُحبُونكم، وينظرون إليكم على أنكم من علمائنا الذين يَجب أن نسير وراءكم .
- الشيخ: جزاهم الله خيراً.
- السائل: لكن هناك أسئلة تدور في رؤوسهم، ومن بين هذه الأسئلة يقولون: أننا إذا نقلنا إلى الشيخ عن طريق أشرطة مصورة ، وبيّنا له فيها قتالنا أننا لا نقتل الصبيان، ولا نقتل الشيوخ، ولا نفجّر في المدن، بل نقتل من يُقاتلنا من هؤلاء الذين لا يُحكِمون كتاب الله عزّ وجلّ فينا، فإنّ الشيخ بعد أن يعرف بأنّ عقيدتنا سليمة وأنّ منهجنا سليماً وأنّ قتالنا سليم فإنّ فتواه ستتغيّر، ما قولكم في هذا بارك الله فيكم وجزاكم الله خيراً؟
- الشيخ: لا! قولي: إنّ الفتوى لا تتغيّر مهما كانت نيّة المقاتل ، فإنها لا

تتغيّر ؛ لأنّه يترتب على هذا أمور عظيمة ، قتل نفوس بريئة، استحلال أموال، فوضى .
[وهذا فيه ثبات الشيخ وقوته في بيان الحق ، وعدم مجاملته المخالف ، أو الانجرار وراء ما يظنه المخالف مبرراً لفعله] .
- السائل: شيخنا! حفظك الله، إذا كان في صعودنا إلى الجبال اعتمدنا على فتاوى، وإن كانت كما قال الأخ ظهر خطؤها، ولو كانت من عند أهل العلم، وبعض فتاوى بعض الدعاة ظنًا منّا أنّ ذلك حجة في القتال ، فصعدنا إلى الجبال وقاتلنا سنين، يعني فما دور المجتمع الآن في معاملتنا؟ هل يعاملنا كمجرمين، أم أنّنا كمجاهدين أخطأنا في هذه الطريق؟
- الشيخ: أنت تعرف أنّ جميع المجتمعات لا تتفق على رأي واحد، فيكون الناس نحوكم على ثلاثة أقسام:
- قسم يكره هؤلاء ويقول: إنّهم جلبوا الدّمار وأزهقوا الأرواح وأتلفوا ا لأموال، ولن يرضى إلا ّ بعد مدّة طويلة.
- وقسم آخر راضٍ يُشجّع، وربّما يلومهم إذا وضعوا السلاح .
- القسم الثالث: ساكت، يقول: هؤلاء تأوّلوا وأخطأوا، وإذا رجعوا فا لرجوع إلى الحقّ فضيلة.
[يحاول الشيخ فتح باب الأمل للمخطيء التائب ، وتخفيف أثر ردة فعل المجتمع عليه . وهذا يشير إلى أهمية وجود باب مفتوح ، وطريق رجعة لمن صحت توبته ، وصدقت نيته ، وتخلى عن فكره المنحرف]
- السائل: شيخنا! حفظك الله، نريد كلمة توجيهية إلى الطرفين، أقصد إلى الإخوة الذين سينزلون إلى الحياة المدنية وإلى المجتمع، يعني: كيف نتعامل الآن؟ وأن ينسوا الأحقاد، نريد نصيحة في هذا الباب حفظكم الله؟
- الشيخ: بارك الله فيكم، أقول: إنّ الواجب أن يكون المؤمنون إخوة، وأنّه إذا زالت أسباب الخلاف وأسباب العداوة والبغضاء فلنترك الكراهية، ولنرجع إلى ما يجب أن نكون عليه من المحبة والائتلاف، كما قال الله عزّ وجلّ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ} .

وفي اليوم التالي ، كان الاتصال الثاني بالشيخ .
- السائل: أنا أركّز على أهم ما يمكن أن يؤثّر على الإخوة عندنا ، يعني المقاتلين حتى يرجعوا إلى الحقّ.

- الشيخ: طيّب! توكّل على الله.
- السائل: إن شاء الله، أهمّ قضية ـ يا شيخ ـ ادعاؤهم أنّكم لا تعلمون واقعنا في الجزائر، وأنّ العلماء لا يعرفون الواقع في الجزائر، وأنّكم لو عرفتم أنّنا سلفيّين أنّ هذا سيغيّر فتواكم، فهل هذا صحيح؟
[وهذا مما يشغّب به دعاة الفكر المنحرف كثيراً ضد العلماء والأئمة ، فإذا لم ترق لأحدهم الفتوى ، قال : إن العالم الفلاني غائب عن الساحة ، ولا يعلم الواقع] .
- الشيخ: هذا غير صحيح، وقد أجبنا عنه بالأمس، وقلنا مهما كانت المبالغات فإراقة الدّماء صعب، فالواجب الكفّ الآن والدخول في السِّلم.
- السائل: شيخنا! ما رأيكم فيمن يعتقد أنّ الرجوع إلى الحياة المدنية يُعتبر ردّة؟
- الشيخ: رأينا أنّ من قال هذا فقد جاء في الحديث الصحيح أنّ من كفّر مسلماً أو دعا رجلا ً بالكفر وليس كذلك عاد إليه.
- السائل: شيخنا! ما رأيكم في قولهم أنّه لا هدنة ولا صلح ولا حوار مع المرتدّين؟
- الشيخ: رأينا أنّ هؤلاء ليسوا بمرتدّين، ولا يجوز أن نقول إنّهم مرتدُّون حتى يثبُت ذلك شرعاً.
- السائل: بناءً على ماذا شيخنا؟
- الشيخ: بناء على أنّهم يُصلّون ويصومون ويحجُّون ويعتمرون ويشهدون أن لا إله إلا ّ الله وأنّ محمداً رسول الله .. فكيف نقول إنّهم كفار على هذه الحال؟! إنّ النبيّ قال لأسامة بن زيد لمّا قتل الرّجل الذي علاه بالسيف، فشهد أن لا إله إلا ّ الله، أنكر الرسول على أسامة، مع أنّ الرّجل قال ذلك تعوّذاً كما ظنّه أسامة، والقصة مشهورة .
[تأمل تحمل الشيخ وطول باله مع ما يطرح المخالف من الأسئلة و الشبه ، واستجابته لما يطلب المخالف من التفصيل , وبيان الأدلة و البراهين]
- السائل: شيخنا! الكفر العملي هل يُخرج من الملة؟
- الشيخ: بعضه مخرجٌ وبعضه غير مخرج، كقتال المؤمن، فقد قال النّبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلّم: ((قتاله كُفرٌ)) ، ومع ذلك لا يخرج من المِلّة مَن قاتل أخاه المؤمن بدليل آية الحجرات: {وَإِن

طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} قال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} [الحجرات 9 ـ 10].

- السائل: متى يُصبح الكفر العملي كفراً اعتقاديًا شيخنا؟

- الشيخ: إذا سجد لصنم، فهو كافر كفراً مخرجاً عن الملة، إلا ّ أن يكون مكرهاً.

- السائل: وفي قضية الحكم بغير ما أنزل الله؟

- الشيخ: هذا باب واسع، هذا باب واسع، قد يحكم بغير ما أنزل الله عدواناً وظلماً، مع اعترافه بأنّ حكم الله هو الحق، فهذا لا يكفر كفراً مخرجاً عن الملة، وقد يحكم بغير ما أنزل الله تشهيًا ومحاباة لنفسه، أو لقريبه، لا لقصد ظلم المحكوم عليه ، ولا لكراهة حكم الله، فهذا لا يخرج عن الملة، إنّما هو فاسق، وقد يحكم بغير ما أنزل الله كارهاً لِحُكم الله، فهذا كافرٌ كفراً مُخرجاً عن الملة، وقد يحكم بغير ما أنزل الله طالباً موافقة حكم الله، لكنّه أخطأ في فهمه، فهذا لا يكفر، بل ولا يأثم؛ لقول النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((إذا حكم الحاكمُ فاجتهدَ فأخطأ فله أجرٌ واحد، وإن أصاب فله أجران)) .

[لا بد للمحاور من علم راسخ ، مبني على الأدلة الشرعية ، مع حسن العرض والبيان للمسائل ، وترتيب الجواب للسائل]

وفي ختام الاتصال .. قال السائل: شيخنا ،كلامكم واضح والحمد لله، وبهذه الصيغة يزيح إن شاء الله الشبهَ التي تحول دون أن يعملَ الحقُ عمله إن شاء الله.

- الشيخ: نسأل الله أن يهديهم، وأن يرزقهم البصيرة في دينه، ويحقن دماء المسلمين.

- السائل: أعطِنا تاريخ المكالمة واسمك.

- الشيخ: هذه المكالمة يوم الجمعة في شهر رمضان، أجراها مع إخوانه محمد بن صالح العثيمين من عنيزة بالمملكة العربية السعودية ،1420هـ ، نسأل الله أن ينفع بهذا . ا هـ.

أقول : إنها صورة مشرقة لجهاد العلماء في ميدان الفكر والحوار ، وأخذهم على أيدي المخالفين وأصحاب الانحرافات الفكرية بالحجة و البيان .. ولن تعدم هذه الأمة بحمد الله من علمائها ودعاتها ومفكريها خيراً في مقارعة هذا الفكر ، ودحض شبهاته ، واحتواء منتحليه ، وإعادتهم إلى جادة الصواب ، وما ذلك على الله بعزيز .

سامي بن خالد الحمود

باحث شرعي أكاديمي